ما بين بريق الشهرة.. وبريق الخلود

مها عادل العزي

شهدت الساحة الثقافية في العراق ظهور أسماء نسائية عديدة سواء في مجال القصة أو الشعر، من بينها برزت أسماء معينة دأبت على الاحتفاظ بمكانتها الأدبية وكان انتشارها نتيجة حرصها على العطاء والمواصلة والاجتهاد والإيمان الحقيقي بما تكتب من دون الحاجة إلى أية وساطة أو الاعتماد على أية علاقات أدبية تسهل لها الوصول، فالأصالة الحقة تبرهن على نفسها.

في مقابل ذلك صادف أن وجدت أسماء أخرى كان لظهورها أسباب عديدة، قد يكون من ضمنها حاجة المجتمع إلى ظهور قلم نسائي.. قلم يتميز بدرجة محددة من الضوء وإن كانت غير باهرة.. قلم يتعامل معه الرجل بحساسية متوارثة، ففي كل يوم تطالعنا الصحف بالعديد من الأسماء الجديدة، من هذه الأسماء ما يبشر بموهبة واعدة ومنها مجرد إملاء لبياض الصحف ومنها ما يكون امتداداً لخواطر لا تتعدى زمن المراهقة، ما يهمنا من بينها جميعاً الصنف الأول الذي يستعجل أغلبه الوصول إلى الشهرة والأضواء وكأن ذلك هو الغاية، لا الأدب بحد ذاته، ولنا أن نقول إن من حق الأديب أن يطمح إلى الشهرة، لكن أن يتصنع السبل إليها، فذلك ما يؤاخذ عليه ويحيد به عن غاية الأدب.

إن الكتابة ليست موضة أو تقليعة للتباهي، إنها إحساس ومعاناة.. أفكار ومبادئ وفهم حقيقي لما نمر به من أحداث وليس معنى الأدب الظهور في الملتقيات والأماسي والتحذلق بلفظ كلمات جاهزة عن الثقافة والأدب.. واعتماد العلاقات، فترى سيلاً من النقد لتلك القصة أو القصيدة، فيكون الكلام أكثر من الفعل وتنضم الموهبة الجديدة في ظرف وقت قصير إلى زخم الكم الذي سبقها والنتيجة الحتمية هي أن نخسر الموهبة الجديدة.

إن قضية الأدب أعمق من ذلك بكثير وكم من عظيم رحل ولم يشهد أدنى بريق لنجوميته وكم من كاتب أفل نجمه بمجرد رحيله، فالزمن وتقادم السنين هما الغربال الحقيقي لكل ما هو أصيل وعلى كل من يدخل باب الأدب الواسع أن يعرف أن الشهرة شيء والخلود شيء آخر.

أيها الذاهب إلى حروب تعوي

أوروك علي

كيف أصنعك، أيتها المبعثرة على سفوح مذابحك
أنا الذي أقف تحت سماء، سماء تذرف
قيامة الثلج
وترتل سمفونيات البياض.
أنا الذي أرتعش من ذاكرة تنهمر تحت درجة الصفر
فمي يطير في الهواء، ويطلق كاتدرائيات الصراخ.
أصابعي تشير إلى شعوب تهذي،
إلى ثعالب بفراء داكنة،
إلى خيانة الكلام.
قدماي تسيران على أرصفة خشنة، من هطول الصمت.
جسدي، لم يزل ينزف بقايا حروب وهراوات.
عيناي تلوحان بشيء، يمكن تسميته نواقيس الأمل أو عواء أدرد.
لكن روحي أو المذبحة
كلاهما يتوهجان
كلاهما يصنعان أجنحة هادرة.
يصنعانك، أيتها المدماة بتاريخ يطل على فجر الأسئلة.
يصنعان ذاكرة وثكنات.

قصة قصيرة

سخام

سلمان عبد الواحد كيوش

بحركة عفوية طائشة من يده أطاح بزجاجة الفانوس فانتشر صوت تهشمها وانغرز في سكون الغرفة. انسحبت الظلال من الجدران وحامت حول ذبالة الشعلة الباهتة التي بعثت بخيط سخام تطاول متعرجاً وتماهى في العتمة.

وضع الكتاب جانباً وجلس في فراشه، سحب الفانوس إليه، حرك مفتاحه لكي يوقف خيط السخام الخانق ولكن دون جدوى، الشعلة الدخانية الواهية هي المصدر الوحيد للنور في البيت كله، فتردد في إخمادها. تأرجحت الشعلة قليلاً ثم خمدت وهي تتلقى غضب نفخته.

أعاد رأسه إلى الوسادة وقد تركز إحساسه على أبعاد جسده لا يتعداها في العتمة اللحدية التي لفته. أغمض عينيه ليقنع نفسه بالنوم بعد أن هجس ندماً في عروقه حيث أطفأ الشعلة.. كان يمكن أن يتحمل السخام، كان قراره بتغليب النوم على القيام والبحث عن علبة كبريت قراراً متوافقاً مع طبيعته الكسولة.

فجأة غرقت الغرفة بنور أبيض رائق فضح بعثرة الأثاث والتمعت انعكاساته متأرجحة على شظايا الزجاج الرقيق بفعل أجنحة المروحة التي دارت مهمهمة بكل سرعاتها فبعثرت السخام ونشرته بقعاً ذرية.

أحس بوطأة النور وزحف مزاج مغاير تماماً ينعش روحه المكرهة على خيار النوم، أعاد فتح الكتاب أمام وجهه، كانت مفاجأة تهشم الزجاجة ضاغطة مباغتة فأنسته وضع قصاصة الورق التي تهديه إلى ما أنجز من قراءة، حاول أن يتذكر في أي فصل أو أي جزء من فصل كان حين سمع صوت التهشم وشم رائحة السخام، احتفظ برائحة السخام في مخيلته واستعرض عناوين الفصول لعل عنواناً ما يوقف شتات الروائح المتداخلة.

قرأ عنواناً كبيراً وسط الكتاب وحاول اختبار مألوفيته.. عاد إلى الوراء وقرأ عنواناً آخر كان بداية لفصل وجد خطأ أحمر تحت جملة كتبت بخط فاحم السواد (الحرب متعة ما دمت لا تجد متعة أخرى).

تساءل: أنا لا أضع خطوطاً، ولو اضطررت فما كنت لأزيد وضع الخطوط بقلم الرصاص.

عاد إلى الوراء كثيراً وقرأ عنواناً آخر بدا صادماً في غرابته (الحرب وتطويع الحب) أغلق الكتاب وسبابته تلامس كلمة الحرب، حاول التذكر حاول...

بدت ذاكرته عصية مغيبة فشعرت بحزن. عاد إلى الوراء وقرأ.. عاد أكثر وقرأ. طوى الغلاف تحت متن الكتاب على الصفحة الأولى، لم تحو غير العنوان وإهداء بخط سيئ... (يا صديقي أجد اني أحبك أكثر في أزمنة الحرب). قرأ.

(كرستة وعمل) لصالح من؟

عبير حسن عبد العزيز

شاهدنا برنامج (كرستة وعمل) على شاشة الشرقية الفضائية لمرّات، والحمد لله سمحت لي الظروف بمشاهدة اغلب حلقات هذا البرنامج، بخاصة مع تكرار الحلقات لأكثر من مرة.

لا انكر انني حاولت جاهدة كبت دموعي، لكنني كنت ابكي مع اغلب لقطاته. حاولت تفسير ذلك مراراً لكنني قررت ان اكتب عن هذا البرنامج علني اقاد الى فهم ما. فكرت ان ازور عائلة ام حسين المرأة التي قدمت عنها حلقة كاملة وعائلة ابي قدوري فلربما اجد اجوبة لعدة تساؤلات اولها يتعلق بجدية الموضوع والغاية الاساسية منه، ولا اظن انني ملامة على ذلك لأن البرنامج كان عبارة عن عدة برامج في برنامج، طرح عدة مواضيع من خلال موضوع. اعادة بناء بعض البيوت التي تهدمت في الحرب الامريكية على العراق شعرت بتعاطف مع العائلتين، ليس فقط لظروفهما القاسية بل ربما لأنني ايضاً رأيت ملاك (الشرقية) قد اتخذ من معاناة تلك العوائل جسراً للوصول الى غايات ابعد. وكلها في النهاية تصب في خدمة هذه القناة، ولا يهم ان كانت (دولة) زوجة ابي قدوري الاولى افضل ام (برياني) زوجته الثانية!!

شعرت بأن هنالك تصنعاً واستعراضاً في كل شيء حتى بوقوع مقدمة البرنامج شيماء عماد التي كان البرنامج افضل دعاية لها!

كنت اكلّم نفسي طوال البرنامج واقول (ماذا لو عملوا كل ذلك بصمت؟! الم يكن ذلك افضل واكرم واحفظ للكرامة الانسانية في الاقل بالنسبة للعائلات التي ظهرت في البرنامج منها عائلة ام حسين وابو قدوري.

ولم يمنحني احد الفرح سوى ذلك المتبرع بالاثاث لمنزل ابي قدوري والذي رفض ذكر اسمه.

اقول.. الفكرة حكيمة بل انسانية تليق بالمعد مجيد السامرائي، ولكن التنفيذ لا يوحي بذلك.

- بالنسبة لي في الاقل!

وهنا اود ان اسأل الملاك الذي اشرف على بناء المنزلين: كيف سيضمن عدم انهيارهما مستقبلاً خاصة ان اسباب الانهيار تزداد يوماً بعد يوم بعد ما كانت في كل العالم لا تتعدى سبباً واحداً هو الزلازل والهزات الارضية؟!

لماذا لا نعالج الامور من جذورها بدل ان نضحك على انفسنا وعلى الآخرين؟

لماذا نعمل ونلتزم بالامور الصغيرة ونتجاهل الكبيرة والعظيمة منها.

الامور الصغيرة يسيرة على الاغلبية، لكن الامور الكبيرة عسيرة على الجميع ولذلك نتجاهلها من خلال ابراز الامور الصغيرة وتعظيمها.

مع ذلك اقول.. تحية لـ(لشرقية)، واقدر فيها روحها وعملها الدؤوب- مهما كانت الغايات!! تحية للمنظمات الانسانية التي تبرعت للمقاولين.

وتحية للملاك الذي اشترى (اللبلاب) لبيت ابي قدوري في الوقت الذي يموت فيه المئات يومياً بسبب تجاهل المسببات والركض وراء تسخير النتائج للمصالح الذاتية!!

وملاحظتي الاخيرة على الملاك هي تجهيز المنزلين المرممين بحرّاس ومضادات للصواريخ والقنابل، كي لا يضطروا لإعادة ترميمهما لأن ذلك سيصيب المشاهد بالملل، وهذا بالتأكيد ما يتجنبه المشرفون على هذه القناة!!

سلطة المثقفين وسلطة الدولة

جاسم الصفير

تحتل مسألة المعرفة بعداً كبيراً جداً في تكوين الشخصية الثقافية وتشكيل الوعي لحاملها وهو هنا المثقف الذي يتفحص دوره في المجتمع حسب ما تقتضيه انتماءاته الايديولوجية والسياسية على حد سواء والحقيقة ان المعرفة لها سلطة كما للدولة سلطة والحقيقة انه اذا كانت الدولة هي سلطة دائماً فإنه ليس كل معرفة سلطة ولكنها تصبح سلطة اذا ادعت انها وحدها تمتلك الحقيقة فيسعى معتنقوها الى تجسيدها في سلطة تلغي تعدد المعارف وتعدد المنابر الثقافية، وتفرض على الجميع كفاحها وعلى هذا النحو كانت النظم العقائدية الاستبدادية فالحاكم أو المستبد يعتمد في سلطته الرادعة على جيش وشرطة وغيرها من انظمته الاستبدادية الا انه يحرص على تعليقها بمبررات رمزية ليضفي الشرعية على سلطته وذلك ان السلطة لا تحب ان تكشف عن وجهها كسلطة مستبدة ساخرة بل يحاول تمريرها بخطاب ورموز وطقوس ومن زاوية آخرى تلعب المعرفة جانباً آخر من اوجه السلطة ففي تاريخنا العربي الاسلامي نرى الى جانب سلطة الدولة نرى حضوراً لسلطة الفقيه الذي هو رقيب على شرعية الحكم ونراهم يصدرون الكتب التي توجه النصح الى الحكام وتعظهم كالماوردي وغيره ولكن من غير طائل لأن السلطة تعرف طريقها بوضوح وتسير به بحزم وحذر ونرى احاديث فلاسفة عن سياسة عقلية او سياسة مدنية بحسب مصطلحاتهم نفسها يتعلق بفكر سياسي مدني وعقلاني ينافس فقه الفقهاء السياسي الا ان حديث الفلاسفة ظل غارقاً في التجريد ولم يكن له اثر يعتد به لا على مستوى نظرية سياسية ولا على مستوى التأثير في نظام السياسة وكان حرياً بهم ان يقدموا فلسفة سياسية ذات مرجعية ومنطق ومبادئ مقابل سياسة الفقهاء فالفلاسفة الاسلاميون لم يقدموا مفهوماً عقلانياً للسياسة من حيث المبادئ والقيم والمؤسسات واسس نظام الحكم وظل حديثهم في الفكر والسياسة حديثاً مجرداً يعنى بسياسة النفس اكثر من اهتمامه بسياسة المجتمع وكل هذه الاوصاف والاسباب تدعو الى توصيف معنى ودور المثقف والحقيقة ان عبارة (مثقف) كلمة مستحدثة في اللغة العربية وضعت كترجمة للكلمة ntellectuel الفرنسية وقبل هذا التداول كانت كلمات مثل الاديب والكاتب وهي تمهيد لكلمة مثقف بمعناها الحديث الذي اختلف عن الفقيه السياسي في معارفه وعقليته وذوقه ووضعه داخل المجتمع عن فقيه القرون الوسطى لكن ما الذي دعى الى تغيير الدلالة والصورة بين فقيه القرون الوسطى والمثقف المعاصر، والحقيقة ان المثقف بهذا المعنى الاخير يتحدد وضعه لا بنوع علاقته بالفكر والثقافة ولا لكونه يكسب عينه بالعمل بفكره وليس بيده. يقول الفيلسوف كارل ماركس صاحب المادية الجدلية التاريخية (إني اقترح انه عندما يتعلق الامر بموقف ازاء القضايا التي تطرحها الصيرورة التاريخية يجب ان نبحث عن الخط الفاصل بين الفكر التجريدي وبين المثقفين وان الرغبة في الكشف عن الحقيقة ليس سوى احد الشرطين ليكون الشخص مثقفاً اما الشوط الآخر فهو ان يكون شجاعاً وان يكون مستعداً للذهاب بالبحث العقلاني الى ابعد مدى وان يقوم بنقد صارم لكل ما هو موجود صراحة تحول دون تراجع النقد لا امام النتائج يتوصل اليها بنفسه ولا امام الصراع مع السلطة اياً كانت).

اذاً المثقف في جوهره ناقد اجتماعي وان همه ان يحدد ويحلل ويعمل من خلال ذلك على المساهمة في تجاوز العوائق التي تقف امام بلوغ نظام اجتماعي افضل وايضاً وبنفس الرؤية ينظر الفيلسوف جان بول سارتر ويحدد واجبات المثقف الملتزم تجاه قضايا مجتمعة وان يشارك في الاحتجاجات والتظاهرات ضد كل ما هو سيئ ويعرقل تطور المجتمع فإذا المثقف يتحدد توصيفه بذلك في المجتمع كمشرع ومعترض ومبشر بمشروع او في الاقل كصاحب رأي وقضية.

قصة

لحية اللقلق
(لا تحصِ النجوم لئلا ينتفوا جناحيك ريشة ريشة)

نصيف فلك

في هامش الحيطان ظل دسم، يتكوم عليه نسوة يتلاصفن بانعكاسات شمسية مبرقشة من خلال التنك وهشيم الزجاج وشظايا الموت المنسية، تتراقص فوق وجوههن الهدهدية، يتجاذبن بألسنتهن لحية اللقلق:

-عمت عيني، على رجل وحده وينتظر بيضه وحده.

-مسكين، دموعه مثل خيط السما، دوخت البيوت.

-مسكين، طلعت لحيته بعد إسبوع من غيبة أنثاه.

كاد يفطس من الجوع لولا مراهنات الصبيان وتحديهم: أيهما السبع الذي يوصل لب الصمون وكسر الخبز إلى عش اللقلق برمية واحدة. والشيطان كان يحشوها بحصوة مما كسر أربع بيضات لحستها الغيوم، لتمطر هناك بعيداً بعيداً في ضحضاح ماء أشهب، حيث الزرافات الساكنة تفز من شآبيب مح وزلال، مطر يشبه لحية اللقلق.

في هامش المقهى يجلس قاسم النداف بين زخرفة ظلال القصب، بعدما شاخت مهنته عند دخولها عصر الأسفنج، تاركاً رواد المقهى بدخانهم وصخبهم يتبارزون بقطع الدومينو ولا يرون أعشاش العناكب تمتد خيوطها من رؤوسهم إلى السقف، وتتحرك مع حركة الرؤوس أينما ذهبت داخل المقهى دون أن تتقطع، وتشبه لحية اللقلق، حين يتأملها قاسم النداف خصلاً من بيوت عناكب تلهو بها الريح: لعين هذا اللقلق، يعرف كل أسرار البيوت، ولا يعرف سره أحد، ولا من أين جاءت لحيته والتصقت تحت منقاره... ربما هي الأسرار فاضت عليه؟ هل يعرف إنني أندف لحم النساء أكثر من القطن؟ وهل يعرف إنني أشرب الخمر لئلا يمتصني الأسفنج؟ لا.. لا غير معقول أن يعرف إنني أغش في الوزن. لحيته ترهقني وترهبني، وتفضح شهوتي لأكون مختار المحلة.. آخ.. تخفقني هذه اللحية، الآن كشفت سره، كيف فاتني هو من الملائكة وليس لقلقاً، هو ملاك يسجل كل شيء عن الناس ويرسلها إلى الله، كيف لعب الشيطان بي وأنساني نفسي، إلهي.. إلهي منذ الآن: لا أتحرش بالنسوان، ولا أشرب الخمر، ولا أغش في الوزن ولا أريد المختارية، وأنا لست قاسماً ولا ندافاً.

وعندما سمع نادل المقهى نداء قاسم النداف هب مسرعاً إليه يلبي طلبه، لكنه توقف حين رأى مكان قاسم النداف خالياً، موحشاً، فدلز جبينه براحة يده اليمنى:

-أووه.. الله يرحمك قاسم النداف، فات أربعين يوماً على موتك ومكانك هو هو، وصوتك يرن بأذني.

وعندما هم بالرجوع داخل المقهى تخيل لقلقاً في مكان قاسم النداف، يضع ساقاً على ساق، وتحت منقاره لحية. فهز يده نكاية بعقله ودخل المقهى.

في هامش السماء، عند شاهق عمودي فوق صف البيوت، يطلق اللقلق لحيته إلى الشوارع، تتدرب على لظم خرز الواقع المقطوع الخيط، ودائماً تناكده الخرزة الأخيرة، فتنفرط لحيته مع الخرز ويعود ثانية يلظم من جديد وتنفرط، وهكذا اكتسب خبرة العدم الملظوم، ودربة القصاص لنفسه: واقفاً على قدم واحدة. لكن أبخرة شكوى الناس تصاعدت إلى شاهق عشه: قدور المرق في المطابخ تزوغ من الأيدي وتندلق، أو يجدون القدور فارغة ملحوسة، فلا يعقلون إنها شربت نفسها بنفسها أو تبخرت.

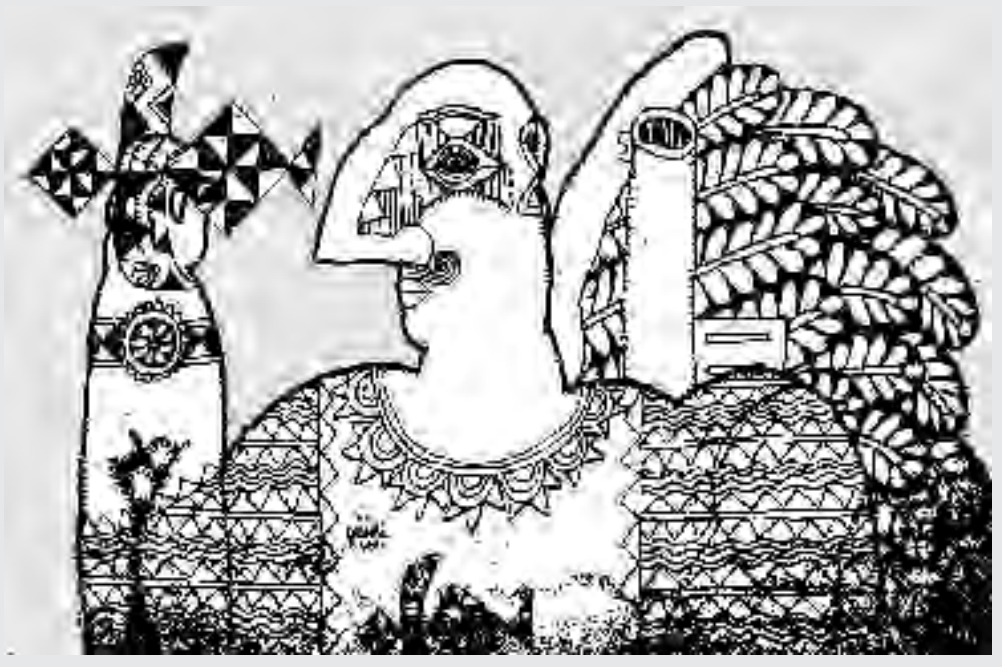

وقد برأوا ساحة القطط بعد مراقبة بصرية وسمعية وشمية. ووجهت أصابع اتهام محروقة - ذات فقاقيع لبينة - ومتصدعة الأظافر تشير إلى: لحية اللقلق، لحية رملية تجوب فضاءات البيوت، كانوا يعللونها على إنها ضفائر خيط السما أو خصائل بيوت العناكب المنهارة بزلازل هوائية، أو دموع أشباح موتاهم، لا تجد من يكفكفها وتظل هائمة تبحث عن عيون لم تنطفئ بعد، حتى اقتنعوا أخيراً: إن لحية اللقلق وراء كل مصائبهم ونكباتهم، فحلقوا لحاهم وانتشروا في الأزقة والساحات يتربصون للقبض على أية لحية طائرة، ثم فطنوا إلى أنفسهم وقد نكصوا إلى مجرد صبيان، فأجمعوا على قتل اللقلق ونتف ريشه ولحيته وحرقهما. لكن الطبيعة حسمت القضية قبل إعدامه رمياً بالرصاص، حين احمرت الدنيا - وتذكر الناس أبخرة المرق وزوغان القدور - فاندلقت عليهم عاصفة ترابية، اقتلعت كل ثابت ونابت وأغرقتهم بظلام نهار دامس بالكاد يتلمسون أطفالهم ويمسكونهم من ياقاتهم وأحزمتهم لئلا يطيروا، ولما هدأت العاصفة وتبدد الظلام عن ضوء مدبوغ، فرحوا وكأنهم ولدوا من جديد من رحم القيامة، حتى إنهم قبلوا أطفالهم وتبادلوا التهاني بالسلامة، ولم يلتفتوا لخسائرهم أبداً خاصة بعد ما بانت معالم الكارثة، وشاهدوا قرص الشمس الذابل ينوس في نقاهة ارتوازية، وشاهدوا تحت قرص الشمس مباشرة: اللقلق بعشه الكامد، يقف على ساق واحدة بذلك القصاص المؤبد، ترفرف لحيته بزهو البقاء مع بيضته الأخيرة، فعظم فرح الناس ورموا أطفالهم في الهواء ليرفرفوا لحظات، ثم يستقبلونهم في الأحضان، واحتفلوا بما تبقى من النهار برمي باقات زهور الكارثة إلى اللقلق، وكل واحد منهم بيت نيته على إطلاق لحيته فرحاً وإكراماً للحية اللقلق.

تزامن في ذات اللحظة: تفقس البيضة وسقوط الحصوة من مخلب الساق المضمومة، إذ تركها اللقلق حين داهمه النعاس، أعتقته من قصاص العدم الملظوم، ومن آفة انتظار مط رقبته إلى ذروة سدم الصمت، ولم يخر يوماً من شاهق نفسه ويرتطم بجذع نخلة، يلعب تحتها الأطفال دعبلاً بخرز الواقع التي كان يلظمها دائماً وتنفرط دائماً، ويلطم بريشه الميت الأرض وسط دائرة الدعبل الطباشيرية، ولم يخر هاوياً إلا بعد ما رأى كيف تسقط الحصوة فوق تصدع البيضة المتفقسة تواً، ويخرج من رحمها رأس صغيره، الذي راح يداعب لحية أبيه ويمسدها بمنقاره. وآخر ما رآه اللقلق من خلال النعاس - وجه صغيره اليتيم، خالياً من زغب لحية ومن زغب شوارب أيضاً.

شيع الناس جنازة اللقلق، تهفهف لحيته فوق رؤوس ابيضت تحت وابل أمطار ريشية، حيث يتهامى الوفر الوفر الوفر أول مرة في تاريخ البلاد المناخي، وهناك فوق.. فوق عند آخر مدى للرؤية: لقلق يواكب التشييع، ويرسم هالات سماوية، تناغي بيوض ألغاز التراب حيث سيدفن اللقلق ولحيته بنبض جديد في مثواه الأخير في القلب.